مطولة قتيل الغواشي محمد بن عبد الواحد القصار (صريع الدلاء- البغدادي) تحقيق ودراسة

د . عدنان كريم رجب

الملخص :

سعى الشعراء منذ مطلع العصر العباسي الأول الى ايجاد ألوان من التجديد في أغراض الشعر، وصوره، وأشكاله ، وعلى مر عصوره اهتموا بأنموذج شعري نظموا فيـــه القصـــائد المطولة- على الرغم من شيوع المقطوعات والقصائد القصيرة – وارتبط هذا الشـــكل بالقافيـــة المقصورة ؛ ويبدو لنا انَ روح العصر فرضت طرائق جديدة فـــي التفكيروالتعبيـــر جعلـــتهم يطربون لهذا النوع الذى أنماز بشكله ؛ومرد ذلك الحرية التى تمتع بها الشـــعراء فـــى هـــذا العصر في شتى ضروب الشعر مما جعلت أمر التصريح بكل جديد أو مخالف شيئا هينا ' فلا وجل من اللهج به.

وهذه القصائد لها من السمات ما يؤطرها عن غيرها من القصـــائد ،فكـــان اختيارهـــا البحور الخفيفة كالبحر المتقارب والرجز الى جانب النفس الطويل من خلال الحرية التى أتاحت للشعراء عدم التقيد في الحركة الاعرابية التى كان الشاعر يلتزم بها في القصائد الأخرى .

وتعد محاولة من الشعراء كيلا يبقوا في حدود قواعد الشعرالتى اعتادوا عليهـــا ، لـــذا سعوا لالتما س طريق جديد للأداء الشعرى ، اذ اعتقدوا أن التحرر من حركة القافية الثابتة التى كانت موضوع عناية الشعراء والنقاد خلاصا ، وقد عاب النقاد على الشـــاعر الخـــروج منها وعدوه عيبا واسموه الأقواء ، فكانت محاولاتهم في شكل هذا الفن تعبيرا عن رغبتهم في تجاوز ما يعدون مركبه صعباً، بأن اتخذوا القافية المقصورة غاية يساعدهم على ذلك جهـــود العلماء الذين اجازوا للشعراء قصرالممدود، مما يسهل عملية انتقاء الكلمـــات التـــى تتـــواءم بحروفها لهذا الضرب من الفن، ووفر زخما لغويا آخر، كى تكون حرية الاختيار أوســـع لـــدى الشاعر، وفى الوقت نفسه فلا يجوز لديهم مد المقصور[1] ، ويعود ذلك الى أصل الكلمة، ففـــي قصر الممدود حذف زائد وعودة إلى أصل اللفظة، ولكن في مد المقصور ما يخالف ذلك ، ومن نماذجه في الشعر العربي مقصورة ابن دريد والمتنبي وتميم بن المعز والشريف الرضي وابـــن

جابر والتنوخي والارجاني وحازم القرطاجني وقد امتد هذا النوع الى العصور الوســطى والحديثة .

ويبدو أن موضوع قصيدة محمد بن عبد الواحد القصار فيه تفرد عن أغراض الشعر كالمديح والرثاء والغزل والهجاء لاسيما عن موضوع الشعراء المذكورين آنفا ، وهنا تكمــن أهمية هذه القصيدة، إذ اتخذ الشاعر من أسلوب السخرية نقدا لاذعا لما يحدث يوميا في الحياة، وهو نقد موجه لسلوك الانسان في عصره ، لذلك حاول الشاعر بلــورة معاناتــه تجــاه مجابهته للسلوك الذي يظهر في المجتمع من خضوع وخنوع ، وسفه وجهل ،وظلم وابتزاز ، وهذه المشاعر التى يعانيها الشاعر لا تخرج عن دائرة التأزم النفسي الذى يكابده ، فكأنَ كل حركة داخل البناء الشعري لها قصديتها والنص يستنطق نفسه بنفسه من خلال التقابــل فــي المعنى ، وبذلك تتحقق للشعر وسيلته في التواصل مما يسهم في بناء تجربه شعرية ناضجة نتيجة خضوع تركيبها لفاعلية التجربة الغنية بالألم والحسرة مما يتطلــب احــداث مشــاركة وجدانية فاعلة بينه وبين متلقيه .

ونهدف من وراء هذا العمل وضع مطولته أمام القارئ – كما أراد لها الشاعر– وتحليل بنية خطابه الشعري في اطار التركيبة الاجتماعية لعصره وهي محاولة تكشف عــن وظــائف تعترف بهذا الخطاب وتأثيره في المتلقي، وتكون منطلقا لقراءة نصوص شعرية اخرى ومحاولة الاقتراب من فهمها .

نبذة عن الشاعر:

شحت المصادر القديمة والمراجع بالمعلومات المفصلة عن حياته ، إذ ما وجــدناه لــم يعطنا صورة واضحة مترابطة الحلقات عن نشأته و حياته ولايعدو كونه اشتاتا تناثرت هنــا و هناك غيرمكتملة الحلقات لاسيما ما يتعلق بحياته الأولى، فتوسعت الثغرات وسادها الغمــوض ،وهذا يعود لاعراض كتب الأدب في تتبع حياته ؛ وأغلب الظن يعود ذلك إلى شعره الذي عبر فيه عن طبيعة الحياة آنذاك من لهو ومجون وإسفاف، كما في شعر ابن الحجاج وابن ســكره ، ولكن في هذه المطولة التى تناقلتها كتب الأدب لم نجد ما يخدش الحيــاء والــذوق إلاَ اشــارة بسيطة، كما لمسنا بعض الاشارات التى تعبر عن سيرة حياته ولعل في هذا التحقيق والدراسة ما يقدم شيئا عن شاعريته وسيرته .

أسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الواحد القصار البصري المولد[2]، وقد ذكره ابن خلكان[3] باسم: علي ابن عبد الواحد ، وورد اسمه – محمد – مكتوبا على مجموع شعره[4] ويكنى بصريع الــدلاء[5] وقتيل الغواشي[*] ويبدو ان الثاني أفضل الأمرين لأن في الدلأ من القصد الاجتماعى السئ اكثر

مما في الغواشى، ولأنها اكثر شبها في اللفظ بالغواني من الدلأ، لأنهـــم قـــابلوا بـــه صـــريع الغواني، وهو مسلم بن الوليد الشاعر، وعلى الرغم من ذكره لكلمة صريع كما يدعوه عامـــة الناس وفي قصيدته هذه؛ يقول:

أنا المسمى بالصريع في الورى بعد أبي العنبس بي قد اقتدى

كما لقب بذي الرقاعتين والبغدادى[6]. وكنية القصار يبدو أنها لحقت به من مهنة أبيه لأنهـــا تعني قصر الثياب[**]، التى كانت شائعة في عصره .

حياته:

لم نعثر على سنة ولادته باستثناء مكان ولادته وهو البصرة ، ويبدو انه ســـافر الـــى مصر في سنة 412 هـــ ومدح خليفتها الظاهر وقد توفي فيها[7]؛ ومن القاء نظره على شعره في هذه القصيدة نجد انه قد تعرض لحادثة قد غيرت مجرى حياته ، يقول:

وكنتُ ذَا نسك وتقوى صانعا فالعشقُ قد أَوْدى بزبدي والتقى

وقد ذاع صيته من خلال هذه القصيدة وليس فيها من المجون ما يمنع من نشرها سوى بعض الابيات التى تحتمل النشروليس كما أشار إليه جرجي زيدان[8]، وقد حفلـــت بالســـخرية والنقد اللاذع للزمان والحياة وكان الشاعر يسمى هذه القصيدة باديته[9].

وصف المخطوطة:

تقع هذه القصيدة المطولة ضمن ديوان شعر الشاعرو الديوان موجود في خزانة أحمـــد الثالث برقم (2456)، ويعود تاريخ النسخ إلى سنة 625 ه . وهو ماثبَت في نهاية الديوان،وقد خطَ بخط نسخي جميل مضبوط في بعض اجزائه بالتشكيل ؛وعدد الاوراق (98) ورقة ، في كل ورقة (14) سطرا .اما قياس أوراق الديوان فهي (16 × 24 سم) ،ومنه نسخة في جامعـــة الدول العربية[10]، وهى نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة طوبقو سراي بالاستانة صـــوَرت سنة 1949 . وتوجد منها نسخة مصوَرة ثالثة (ميكروفلم) لدى د. طارق الجنابي. ويبـــدو أن شعرا فقد من ديوانه ، اذ يذكر الناسخ في مقدمة ديوانه عبارة ((هذا ما اختير من شـــعر ابـــي الحسن المعروف بصريع الدلاء، قتيل الغواشى وما وجد منه ...)) ،فعبارة الاختيار وما وجـــد تعني لنا ان هناك شعرا لم يذكر-بمافيها المطولة- ويقول عنها الثعالبي[11] وهي طويلة تقـــرب المائة بيت وقد اعجز الشعراء أن يزيدوا فيها بيتا من حسنها . ومعدل عدد الابيات في كل ورقة ثلاثة عشر بيتا باستثناء مطلع الديوان وأول ما يبدأ الديوان بمطولة الشـــاعر؛وحاولنا جاهـــدين مقابلة هذه الابيات أينما وردت في مظان الادب التي ذكرت شعر محمد بن عبد الواحد القصار ؛ والذى يطلع على شعره يجد فيه قصائد طوالا لاتقلَ جودة ومتانة وفصاحة عن قصائد مشـــاهير

الشعراء المعروفين، وتدل على تجربة ناضجة في الشعر وطول معاناة وميله الـــى الاســـلوب الساخر والساخط نتيجة تبرمه من الحياة.

منهج التحقيق:

بما أن المتوافر هو نسخة واحدة كتبت في الربع الأول من القرن السابع للهجـــرة ،وأن النسخة الموجودة في خزانة أحمد الثالث هي اصلا منقولة عن نسخة ((طوبقـــو ســـراي)) ، ونسخة جامعة الدول العربية نسخة مصورة ،والنسخة الثالثة هي عبارة عن ((مايكرو فلـــم)) لذا اعتمدنا على نسخة طوبقوسراي ؛ وتمت مقابلة الابيات بما تـــوافر مـــن مصـــادر وأثبتنـــا الاختلاف فيها في الهامش مع الاستعانة بالمعاجم والمصادر لضبط النص بعد حصـــره بـــين قوسين كبيرين ، وشرح بعض الكلمات التى تحتاج إلى أيضاح وبيان ، مع الاشارة إلى المصادر المستقاة منها حتى يكون أقرب الى الصورة التى أرادها الشاعر.

هذا واسأل الله ﷻ أن يجعل عملي خالصا لوجهه، وأن يأخذ بيدي نحو الصواب ويبعدني والجميع عن الزلل ؛فما جاء من نجح فيه فمرده الى توفيقه ومنِه، انه علـــى مـــا يشـــاء قـــدير وبالاجابة جدير، أنه نعم المولى ونعم النصير، عليه توكلت وإليه أنيب .

القيمة الفنية للقصيدة:

يعد الاهتمام بقراءة قصيدة محمد بن عبد الواحد القصار لمكانتها كنص أدبي في اطـــار الشعربوصفها متفردة بأسلوبها من خلال إسهام الشاعر في بنائها بناءً ، أنماز فيه ؛ فالانســـجام الذي تم في القصيدة من خلال الايقاع الفكري المتوازي والايقاع اللفظي الصـــوتي لـــذا كانـــت مغايرة عن نظيراتها باختلاف التعبير الممزوج بالربط الخيالي ؛ ولم نعثر على دراسة حللـــت خطابه الشعري بصورة عامة ومن أبرز مظاهرها التى ربطت العلاقة الجدليـــة بـــين تجربـــة الشاعر والتعبيرهى:

التقابل:

من الايفاء لأي نص علينا الاهتمام بالعناصر الأسلوبية المسيطرة عليه التى قصد إليهـــا الشاعر مستخدما اياها بوصفها وسيلة من وسائله لابلاغ ما يراه ويسعى لتحقيقه ،بل ورصد ما لايراه مناسبا والاستخفاف به، مما جعل هذه الوسائل من بين مقتضى حال النص ولامحيد عنها، لأنها تهيمن على النص الذى عكس واقع الحياة ، ويرمي إلى تقويمها ، وهذا يشير إلى رؤيـــة الشاعر التى تتحكم في شكل الخطاب الشعري الاجتماعي ،لاسيما عندما يكون التكـــرار ســـمة الصياغة المخصوصة بوسيلة معينة فساعدتها في تشكيل الرؤيا المتضمنة البنية الفكرية التـــي يجسدها الشاعر في مظهرها الشكلي حيث البنية الأسلوبية ؛وبهذا استطاع الشاعر توظيف وسيلة التعبير بطرائقها مستوعبة كل ما يصل إليها من افكار، ومنها التقابل ، وتعني دلالته اللغويـــة:

المواجهة ومثله وهو قبالتك، اي تجاهك وقيل : هذه كلمة قبـــال كلمتـــك كقولـــك حيـــال كلمتك[12] ومنه استمدت الدلالة الاصطلاحية بوصفها جزءاً من أسلوب بناء القصيدة وهي تعنى التعارض والتحالف[13] ؛ وهنا نجد الشاعر قد وظف التقابل بوصفه عنصرا مهما من مكوناتهـــا البنائية ، والآخر المتمثل بالغياب ، وهما العنصران المكونان الأساسيان للبنية النصية التـــى مرجعها فلا يكاد بيت من القصيدة يخلو منهما ، ويعود ذلك لطبيعة تجربة الشاعر الاجتماعية ، لان اي شئ في الحياة يقوم على التخالف والتقابل بين بعديه ، وقد تمثل فـــي هـــذه المطولـــة بالحضور من خلال الضمير الذي يعود الى التجربة الاجتماعيـــة وتعلقهـــا ايضـــا بالتجربـــة الشعرية بوصفها بنية لسانية .فالاولى هى التى تقود الثانية .

وسمات التقابل تتجلى في القصيدة عندما سعى الشاعر الى وصل ما انفصـــل مـــن خلال ((الانا)) و ((الآخر)) التى تصد المعاني الباحثة عن الانفصال ، وقد تراءت لنا العلاقة التعارضية التى حدثت نتيجة لعلاقة الغياب .

فالأنا المتجسدة في ذات الشاعر تتجلي لنا في القصيدة: ((عقلي – ظللـــت – ابكـــي – قلبي – لقلبي – ناديت – سادتي – ازل – اسعى – نفسي – بي – عليَ ...)) ،أما في الطـــرف المقابل الآخر الذي يمثل الغياب فترد الأشارة إليه بصيغة الضمير ومن مظاهره ((أبصرتهم – يطوون – يحدو- عيسهم – اعلامهم – هم – توقفوا- أحمالهم – أثارهم – مطيهم ..)) .

هذان الطرفان المتقابلان الواصل والمنفصل يمتدان الى البيـــت الثـــامن عشـــر مـــن القصيدة، وهو من اسلوب التقابل الضمني الذي لايظهر في صـــورة صـــريحة ومباشـــرة ، فالعلاقة بينهما تتمثل بعلاقة الغياب او الأبتعاد ومن مظاهرها بوصـــفها أدوات لســـانية ((طار – البين – زمت – ألمَ – الضَنا – حدا الحادي – البين – سعى – ثوى – مضى الدمع – قبضة الهم – اسرى الجوى- النوى – غاب)).

لذا وجدنا ان طريقة بناء القصيدة – بدءا من مطلعها – تقابلية تعارضية بـــين ذاتيـــة الشاعر الراغبة في التواصل والاخر الممتنع عن كل تواصل ، فكانت علاقتهمـــا علاقـــة تنـــاء وبعاد، وهذا المظهر يتضح في مقدمة القصيدة التى مظهرها الغزل وفي ضمنها وباطنها موقف اجتماعى رافض للواقع الذى يرمي الى اصلاحه، ولاسيما عندما ينتقل من التقابل الظـــاهرى في المعنى يقول:

فسوف اسلي عنكم خواطري بحمق يعجب منه من وعا

ويلمح الشاعر الى طبيعة العلاقة المتمثلة بالبعاد بين الأنا والآخر التـــى اســـتعاض عنهـــا ((بالحمق))، وهو يرمى الى التعبير عن رفضه للواقع الاجتماعى المتمثل في السلوك الخـــاطئ الذى أبتعد عن كل ما يمت للعقل والحكمة والقيم الاجتماعية بصلة ، فكانت دلالته مقصودة كى

ينتقل منها الى الضرب الثاني من التقابل ؛ثم ينتقل الشاعر الى ضرب من التقابـــل الضـــمنى بوصفه من العناصر الاسلوبية المنتجة لآلية القصيدة ،وربما يكـــون علـــى رأســـها ، لأنـــه لايرتكز بموضع دون آخر في هذه المطولة ، لذا يعد من مكونات بنائه لأنه يفتح لنا فجـــوة عميقة بين ما هو كائن وما يمكن أن يكون عليه أى بين التعقـــل والتهـــور وبـــين التســـامح والاستمرار في الاساءة ويتمثل بين الاعتداء والتجاوز على الاخر ، وما ينبغى أن يكون مـــن رد الفعل يقول :

من صفع الناس ولم يدعهم أن يصفعوه مثله قد اعتدى

بل يمتد التقابل ليصبح ثنائيا داخل البيت الواحد الشعري ما بين عجزه وصدره الذي يروم تناول الحرام ، ويظهر عليه ذلك من خلال سواد فمه ، ومن يريد أن يرى الاشـــياء بوضـــوح عليه عدم نفخ المصباح وإلاَ اصبحت حياته سوداء كسواد الكحل ، فيجـــب عليـــه أن يحكـــم بصيرته وبصره ، وهذا ما نراه في قوله :

من أكل الكحل تسوَد فمه من نفخ المصباح يوما انطفا

وهذا النوع من التقابل يظهر عادة في المطولات الشعرية ومنها هذه القصيدة التى نقلتها المصادر الادبية بتفردها في اسلوبها وموضوعها ،وعلى المرء ان يقتاد قوت يومه من خـــلال العمل فالتغذية ضرورية للانسان ، وبعكسه سوف توهن صحته وتخور قـــواه ويصـــبح أشـــبه بالعاجز لان الطعام طاقة يقول :

من ترك الخبز ثلاثا لم يكن به حراك ووهت منه القوى

وقد تشترك بعض الالفاظ والعبارات المباشرة في تلمس الدلالة التقابلية نحو:

والمرء قد يبصر ما قدامه ولايكاد أن يرى الى ورا

فالتقابل اللغوي بين ((قدام – وورا)) و بين عبارتى ((قد يبصر – ولايكاد ان يرى)) جمعت بين الماضي وتجاربه التى يمر بها وبين المستقبل وما يمكن أن ينتفع به مما مضـــى وهى محاولة للتذكير ،لأن الانسان لاينظر إلاَ لما يكون عليه مستقبلا وينسى الماضي.

وهذه الالفاظ مع جملها تشكل جزءا من المعادلة الثانئية الضـــدية ،اذ يكشـــف الشـــاعر الفاعلية الدلالية والتعبيرية فى الخطاب الأدبي ،وتقوم هذه البنية على تحقيق انزيحات أســـلوبية من خلال مجموعة من المتنافرات توحى بحركية، فيندفع معها النص لتحقيق دلالته متمثلة بثنائية الشطرين يقول:

ما كان أحلى عيشتى بقربهم وما امر العيش ايام النوى

وثنائية متوازية متقابلة لا تتقاطع،يقول:

فأن تغب وجوههم عن ناظري فذكرهم مستودع طي الحشا

فحلاوة العيش بقرب الاحباب تقابله مرارة العيش ايام الفراق وبعد الأحبة وكذا غيابهم عـــن النظر وابتعادهم، وفي الجهة المقابلة توازيه الذكرى التى يحملها الانسان في حله وترحاله.

وحالة التوازي المتقابل يتمثل في عبارات نحو : ((طار عقلي)) موازيه و((كأن قلبـــى)) و((حين ابصرتهم)) موازية ((حين زمت عيسهم)) وهنا ينتقل التقابل المتوازى الى مـــا بـــين الابيات .

الظاهرة الصوتية:

لعل ظاهرة التوازى في سياق النص انتجت لنا ظاهرة صـــوتية بـــارزة بعـــد التقابـــل المعنوي والفكري ،وقد أتت منسجمة مع آلية الأسلوب الخاص بالتعبيرعن جملة من الافكار التى اراد لها الشاعر ان ينتقد فيها ويسخر من شيوعها في المجتمع ؛وهو اسلوب انماز بالترهيب من بعض مظاهر السلوك الانساني والابتعاد عنها بأن يوازي بالنتيجة التى يصل إليها هذا السلوك . ومن هنا تم التقابل الدلالي والايقاعي ، وقد تحققت هذه الظاهرة الصوتية بالجمل المتوازيـــة ، وهذا النوع يعد غير تام الذي تتنوع فيه الفقرات تنوعا يكسر الرتابة حتى كأنَ النص قد قطّع ايقاعيا، وكأنّه قطعة موسيقية ذات الالحان المتباينة والمؤتلفة في سياق النص العام لتنتج ايقاعـــا يتوزع بين اللين والشدة فنراه يقول :

من أكل الكحل تسوَد فمه
من ناطح الكبش تعجررأسه
من مضغ الاحجارآذى ضرسه
من طاعن الدبس انشى مدبقا
من رافس البغل مشى من وقته

وهذه السمة تنقل النص من مضمونه المعنوى الى طاقاته الايقاعية ،فالايقاع يعتمد على توازن العناصر ،وهو توازن يقوم على مبدأ التعارض بين الاشياء ، يقول :

والصبح قبل الليل يبدو طالعا وأول الليل اذا جاء العشا
وظلمة الليل البهيم للفتى أستر عند الخوف من شمس الضحى

وهنا نلمس التقابل ممثلا في المدى الزمني الذي يتصاعد وينخفض حتى يلقى عند المتلقى إيقاعا يتناغم مع إيقاع النص فيجد نفسه منساقا وراءه ، وقد سيطر عليه الايقاع ؛ وبما ان لغة النص مفهومة لذا يلجأ الفكر في مثل هذه النصوص الى استيعاب الايقاع وما يكمن وراءه من دلالات ، وانَ اى انسجام تم بين الايقاع الصوتي والمعنوي يقوم أساسا على مبدأ المزاوجة عبر التنوع في المقاطع الايقاعية بمسافات منتظمة، ومما تقدم يبدو اندفاع الشاعر في التعبير بهذه الطرائق بوصفها نوعاً من خصوصية التعبير لنصه التى تدفعه الى محاولة اقناع

الآخر ليفرض عليه نوعاً من الاستمالة وكسب الود لعله يستجيب لها ،وبذلك تقوم العلاقة بين ثنائية الشاعر والمتلقى وينتج عنه مشاركة وتفاعل وهذا ما كان يرمي إليه قتيل الغواشى في هذه المطولة.

ونستنتج من ذلك، لا نرانا مغالين إذ نقول ان الفن هو وليد توق الشاعر بنزعته الانسانية الى الحرية ، وشعوره بها شعورا عميقاً ، يفك عقال نفسه من القيد، فينبري للاشياء يهدمها ويبنيها من جديد ، فالشاعر باسلوبه في هذه القصيدة حاول التحرر من العبودية التلقيدية للقصيدة وطرائقها ، لذا مثلت النزعة الرئيسة التى تصدر عنها التجارب الشعرية للشاعر او في لاشعوره ، انها نوع من التململ والضيق بعبء عالمه الخارجي الذي يجثم بثقله الجارف على صدره دون اي تبدل ويسيطر عليه سيطرة تامة مخبؤه في النفس بعمق مما تدفعه الى التمرد على تلك الحدود القاهرة، فاليأس الذي دفعه للتحدث عنها بهذا الاسلوب الذي انماز به وما هذه المطولة الا ليعكس اليأس المطبق الذي انتهت اليه حيرته ، وهكذا يبدو لنا ان مسلك الشعر يسير على وتر غيبي .

نص مطولة محمد بن عبد الواحد القصّار
قتيل الغواشي

النص: [الرجز]

أَيْسُرُ أسْبَاب الهَوى فَرط الجوى ... يَا ويحَ مَنْ يَهْوى الى بَحر الهَوى[14]
و طَــارَ عَقْلي حِينَ أبْصرتهم ... تَحْتَ ظَلام الليل يطْوون السُّرى
ظللتُ [أبْكي][15] أسفــاً لبيْنِهــم ... والبَيْنَ يَحْدو بِهم مَعَ مَنْ [حَدا][16]
كأنَ قَلْبى حِين زمَتْ عِيسهم ... تَحْتَ مَخاليب [صَقورات][17] الشرا
كأنَّ أعلامَهمُ حَناجِرٌ ... تجنى لقلبي ألما و ما جنا
نَاديتُهم يَا سَادتي توقَّفوا ... بقلبٍ موقوفٍ على سُبلِ الضَنا
ومدَت الاعناقُ [أحمالَهم][18] ... لمَّا حدا الحادي وأصغتْ للندا
ولَم أزلْ [أسعى][19] على اثارِهم ... والبين في أتلاف نفسي قد سعى
وغابَ عن عيني أربابُ الهوى ... وانقطع الحبلُ وخابَ المرتجى
[فلو درت مطيهم وما حلَ بي ... بكت عليَ في الصباح والمسا][20]
ياليتهم اذ خلفوني [لقوما][21] ... جادوا بتوديع لصبَ قد ثوى
لا زلتُ أبْكيهم بدمعٍ [سائل][22] ... فأن مَضى الدمعُ تباكيتُ الدَما
اذ كان قَدْ شطَت بهم ديارُهم ... في قبضة الهمَ وفي أسرِ الجوى

مَا كان [أحلى][23] عِيشتي بقربِهم ... وما امرَ العيش أيَّام النوى
يا سادة نأوا وقلبي عنْدهم ... مُذ غبتم قد غابَ عن عيْني الكرى
فأن تغب وجوههم عن ناظري ... فذكرهم مستودع طـــيَ الحشا
إن كنتم أوليتموني جفوة ... [أتبعتموها بمـــــا لآل][24] وقلى
فسوف أسلي عنكم خواطري ... بحمق من يعجب منه من [وعا][25]
في عجبه أنظمها قصيدة ... اذ كنت قصارا صريعا للدلى[26]
فأستمعوها فهي أولى بكم ... من زخرف القول ومن خطب المرا[27]
من صفع الناس ولم [يدعهم][28] ... أن يصفعوه مثله قد أعتدى[29]
من أكل الكحل تسوَد فمه ... من نفخ المصباح يوما أنطفا[30]
من ناطح الكبش [تعجر][31] رأسه ... وسال من مفرقه شبه الدما
من مضغ الاحجار أذّى ضرسه ... والضرس لم يخلق لتلين الحصا
من نام لم يبصر بعين رأسه ... من تطاطا راكعا قد انحنى
ومن مشى في السوق لا من حاجة ... متكشّف الرأس فقد ألقى الحيا
من طاعن الدبس أنشى مدبقا ... و من سعى بسرعة فقد عدا
من رافس البغل مشى من وقته ... بين الانام [مائلا][32] على العصا
من ترك الخبز ثلاثا لم يكن ... به حراك ووهت منه القوى
من طالب الناس بما ليس له ... عليهم من حقّه قد اعتدى
من لم يرد أن يلتقي [بطائف][33] ... يدخل في منزله قبل العشا
من صعد السطح فألقى نفسه ... الى قرار الدار يوما أرتدى[34]
من جمّر النخل وأمسى راجيا ... ثمارها فذاك مقطوع الرّجا
ومن طلا بالخير حرّ وجهه ... حكى سواد ليله اذا [دجى][35]
من لبس الكتّان في وسط الشتا ... ولم يغطّ رأسه شكا الهوا
والناس مذ كانوا اذا هبّ الهوى ... يجتنبون نومهم تحت السّما
و لا يكون شهور صيفهم ... من الثلوج ما يكون في الشتا
وأهل سيران فلا يمكنهم ... أن يلبسوا في شهر تموز الفرا
[ومن أراد أن يصون رجله ... فلبسها خير له من الحفا][36]
والماء لا يثبت في دوحلة ... وقد يقدّم الماء في قعر الرّكا
من قرّب النار الى لحيته ... تشوّطت مثل رؤوس تشتوى
من اشترى الخبز تعشّى أهله ... ومن نسى الخبز بقى بلا عشا

من أكل التمر وأرمى عجوه ثم تفقّده يراه كالنّوى
والمرء قد يبصر ما قدّامه و لايكاد أن يرى الى ورا
[وألف حمل من متاع تشترى أنفع للمسكين من لقط النوى][37]
والدّرج يلقى بالنّشا ملصق والسّرح لا [يلصق][38] إلاّ بالغرا
وليس للبغل اذا لم ينبعث من الطريق باعثا مثل العصا
والصّبح قبل الليل [يبدو][39] طالعا وأول الليل اذا جاء العشا
وظلمة الليل البهيم للفتى أستر عند الخوف من شمس الضحى
و[الكوكب][40] الطالع لو قلت له تيتى وتيتى ثم تيتى ما دنا
والجبل الراسخ لو صحت به كما يصاح بالحمار ما مشى
والطائر الوحشى لو كششته طار ولو دانيته لما دنا
[والذّقن شعر في الوجوه ثابت وأنما الدّبر الذي تحت الخصا][41]
وليس يجزى في الفراش عاقل والطفل قد يسلخ في فرش الصبا
والجوز لا يؤكل مع قشوره ويؤكل التّمر الحديث[42] باللّبا
فالفرس الميت لو جرّيته مع الحصان الحّي يوما ما جرى
والندّ لا يعدّله في طيبه عند البخور ابدا نثر الخرا
والماء من عادته حمل الركا والسّفن لا تحمل إلا بكرا
والعري يوم الحر فيه راحة والبرد لا بدّ له من الكسا
من شرب الخمرة أمسى ثملا ومن أفاق في غد فقد صحا[43]
من طبخ الديك ولم يذبحه طار من القدر الى حيث يشا
من قامر الناس ولم يعطهم ما غلبوه فعليهم قد طغا
من مسّه القطر تندّى ثوبه والشمس لا تجلب للثوب [الندى][44]
من لم يجد ثوبا سوى أزاره واعتنم في الرأس مشا بلا ردى
[من دخلت في عينه مسلّة فسأله من ساعته كيف العما][45]
من صافع الناس تخرّق قبّه ومن دنا للسوق وافاه المرا[***]
من سرّه أمر تراه ضاحكا ومن جرت دموعه فقد بكا
[من شرب المسهل في فصل الدوا أطال ترددا الى بيت الخلا][46]
من عدم الماورد لم يقم له مقامه في طيبه دهن الّسلا
من فاته العلم ولم يؤت الغنى فذاك والكلب على حال سوا[47]
فيا لشعر من رقيع بارع لمدرس العلم على أهل الحجا

ولم يعارض بالعروض شعره ولا روى عن الثقات ماروى
أنا المسمّى بالصريع في الورى بعد أبي العنبس[48] بي قد أقتدى
وابن دريد[49] لم يكن في شعره مثلي في جهلي ولا من قد مضى
والمرء ينبئ قوله عن عقله فالحمد لله على فقد النّهى
قد كنت أظهرت لكم انموذجا فاليوم حقي كلّما عشت نما
وأن أعش أبدع مقالا معجبا فادعوا جميعا لعزيزى بالبقا
قد كان عقلي عوده لاينثني فاعوّج مذ صغت القريض والتّوا
وكنت ذا نسك وتقوى صانعا فالعشق قد أودى بزبدي والتّقى
ومحمق الرأى مع العقل فقد خشيت من أن يبلغ السّيل الزبى
انّي أنا القصّار شعري طرفة وصوت حمقي في البلاد قد علا
عارضت فيما قلت ذا معرفة قال مقالا حسنا لا يدّعا
فتلك كالدّرة صاف لونها وهذه في وزنها مثل الحذا
[أما تري رأسى حاكى لونه طرّة صبح تحت أذيال الدجى][50]

ثبت الهوامش

(1) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش 28/6، المقصورات في الشعر العباسي ، أطروحة دكتوراه كلية الاداب الجامعة المستنصرية 1996.
(2) ينظر: تتمة اليتيمة: 12/1- 15، فوات الوفيات، 424/3، العبر في أخبار من غبر : 110/3،البدايةوالنهاية:13/12،سيرأعلام النبلاء: 352/17- 326،المختصر في أخبار البشر:152/5.
(3) ينظر: وفيات الأعيان : 359/1.
(4) مخطوطة الديوان و 1.
(5) وردت [صريع الدلال] ينظر: البداية والنهاية 13/12، والصيحيح ما ثبت ومفردها الدلو.
(*) وردت في سورة الأعراف قال تعالى[لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش] الآية41،وهي تعني اغطية من النار،وإغماء وهي ممنوعة من الصرف، ويقال:تغشى المرأةاذا علاها، وغشى المرأة غشيانا جامعها ، ينظر:لسان العرب مادة غشا.
(6) ينظر :تتمة اليتية 12/1.
(**) ينظر:لسان العرب مادة قصر .
(7) ينظر :حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة 562/1.
(8) ينظر:تاريخ اداب اللغة العربية 261/2- 562.
(9) المصدر السابق.
(10) تحت رقم ف 638 من 2140/114 واسم الكتاب:ديوان محمد بن عبد الواحد البغدادى
(11) تتمة اليتمة 15/1 .
(12) ينظر: لسان العرب ،مادة: قبل .
(13) ينظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين 172 .

(14) يروي الثعالبي مطلعا آخر لهذه المطولةولم نعثر على من يؤيد قوله:

قلقل أحشائي تباريح الجوى وبان صبري حين حالفت الأسى

تتمة اليتيمة: 15/1 .

(15) وردت [أبلى] المخطوطة و 1 . والصحيح ما ثبت .

(16) الحدا من الحدو سوق الابل والغناء لها، وقد وردت [حدى].

(17) وردت [صمورات] المخطوطة و1 .والصحيح ما ثبت عن يتيمة الدهر 15/1 ،وحسن المحاضرة السيوطي 562/1.

(18)وردت في الأصل [احماله] و2 ، والصحيح ماثبت .

(19)وردت في الأصل [أسعا ..... وسعا] المخطوطة و 2ظ ، والصحيح ما ثبت .

(20) ورد البيت في الوافي بالوفيات ولم يرد في بقية المصادر 62/40 .

(21)وردت في الاصل [لغوما] المخطوطة و 3 ، والصحيح ما ثبت.

(22) وردت في الاصل [سايل] بتسهيل الهمزة .

(23)وردت [بانوا] برواية الثعالبي،ينظر: تتمة اليتيمة 15/1 .

(24)وردت [اتبعتمو بالآل] المخطوطة و 3 ، والصحيح ما ثبت عن البداية والنهاية 13/12.

(25)ورد البيت برواية اخرى :

فسوف أسلي عنهم خواطري بحمق يعجب منه من وعا

الوافي بالوفيات :62/4، وفي تتمة اليتيمة 15/1 وردت [صبابتي] بدلا من خواطري

(26) ورد البيت برواية اخرى:-

وطرف أنظمها مقصورة اذ كنت قصارا صريعا للدلا

تتمة اليتيمة : 15/1، البداية والنهاية :13/12، العبر:110/3،فوات الوفيات :225/3.

(27) ورد البيت برواية أخرى :

فاستمعوها فهي أولى لكم من زخرف القول ومن طول المرا

فوات الوفيات : 225/3.

(28) وردت [يعوهم] والصحيح ماثبت عن : تتمة اليتيمة 15/1، والبداية والنهاية 13/12 .

(29) ورد البيت برواية أخرى:

من صفح الناس ولم يدعهم أن يصفعوه فعليهم أعتدى

فوات الوفيات :425/3 ، سير أعلام النبلاء: 326/17 .

(30) ورد البيت برواية اخرى :

من أكل الفحم يسوّد فمه وراح صحن خده مثل الدجى

فوات الوفيات : 425/3 .

(31) وردت [يضجر] ،المصدر السابق .

(32) ورد ت بتسهيل الهمزة المخطوطة و 4 .

(33) وردت [بهارق] المصدر السابق .

(34) ورد البيت برواية اخرى :

من صعد السطح وألقى نفسه إلى قرار الارض يوما أرتدى

الوافي بالوفيات : 4/ 62 .

(35) وردت [دجا] المخطوطة و 4 ، والصحيح ما ثبت .

(36) ورد البيت في فوات الوفيات : 425/3 .

(37) ورد البيت في : حسن المحاضرة : 1/ 562.
(38) وردت [يلزق] ،ينظر : فوات الوفيات :425/3.
(39) وردت [يبدوا] المخطوطة ظ 5 ، والصحيح ما ثبت .
(40) وردت [الكواكب] المخطوطة و 6 ، والصحيح ما ثبت .
(41) ورد البيت في : الوافي بالوفيات : 4/ 62 ، وفوات الوفيات : 425/3 .
(42) وردت [الجديد] في : الوافي بالوفيات :62/4 .
(43) ينظر : الوافي بالوفيات :62/4، فوات الوفيات : 425/3 ، شذرات الذهب 197/3.
(44) وردت [الندا] المخطوطة و 7 ، والصحيح ما ثبت لأن الندى المطر والبلل ويقال ندى الشئ أي ابتل .
(45) ورد البيت في حسن المحاضرة : 1/ 562 .
(***) القب : الظهر اذا ضرب بالسوط ، والمراء : الجدال ويقال ما راه أي الشك فيه .
(46) ورد البيت في فوات الوفيات : 425/3 .
(47) أشار السيوطي الى ان هذا البيت هو آخر بيت في القصيدة ينظر : حسن المحاضرة :1/ 562 .
(48) ذكر الثعالبي في تتمة اليتيمة 12 ، انه عارض بهذه القصيدة أبا العنبس في تأخير المنفعة .
(49) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي 223- 321 ه ، ولد في البصرة أخذ النحو عن السجستاني والرياشي ، رحل الى عمان ثم عاد الى البصرة ومن مؤلفاته : كتاب الجمهرة وله ديوان شعر واشتهر من شعره مقصورته ، ينظر : معجم الأدباء : 322، شذرات الذهب : 289/2 ، تاريخ بغداد 2/ 195 ، معجم الشعراء المرزباني : 461.
(50) هذا البيت مطلع قصيدة ابن دريد التى مطلعها :

ياظبية أشبه شيئا بالمها ترعى الخزامى بين أكوام النقى

ديوان ابن دريد ، 129 ،دراسة وتحقيق عمر السالم الدار التونسيه 1973م.

ثبت المصادر والمراجع

1- البداية والنهاية ،ابن كثير الدمشقي ت 776هـ بيروت الطبعة الثانية 1974.
2- تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان ،مراجعة دشوقي ضيف دار الهلال بلا تاريخ.
3- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى ، منشورات مطبعة السعادة ،القاهرة 1931م.
4- تتمة اليتيمة ،ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل ت429هـ ،نشر عباس اقبال،طهران 1353هـ.
5- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الاولى دار احياء الكتب العربية 1967هـ.
6- ديوان ابن دريد ،تحقيق ودراسة عمر السالم،الدار التونسية 1973.
7- ديوان الارجاني،تحقيق محمد قاسم مصطفى وزارة الثقافة والاعلام بغداد 1979.
8- سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي حققه شعيب الارناؤوط ومحمد العرموس مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة.

9- شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي،منشورات دار المسيرة بيروت بلا تاريخ.
10-شرح المفصل،موفق الدين بن يعيش بن علي، منشورات عالم الكتب بيروت بلا تاريخ.
11-العبر في اخبار من غبر، الحافظ الذهبي،تحقيق فؤاد سيد،الكويت1370-1961م.
12- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق احسان عباس ،دار صادر بيروت 1978م.
13- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر .1978
14- المختصرفي اخبار البشر، ابو الفداء اسماعيل بن علي ،طبعة مكتبة المثنى بغداد 1969
15- معجم الأدباء،ياقوت الحموي، دار المأمون مصر بلا تاريخ .
16- معجم الشعراء، ابو عبدالله محمد بن عمران المرزباني تحقيق عبد الستار احمد فراج 1960م دار احياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي.
17- المقصورات في الشعر العباسي، اطروحة دكتوراه ،كلية الاداب الجامعة المستنصرية.
18- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الفت محمد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م.
19- الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي، اعتناء س دردينغ،الطبعة الرابعة المطبعة الهاشمية 1953م.
20- وفيات الأعيان وانباء الزمان، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر، تحقيق محمد محمد محيى الدين عبد الحميد 1948م.
21- يتيمة الدهر ،ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل،تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة 1956م.